إلى تبوك!

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

(سورة التوبة الآيتان: ٩١ – ٩٢)

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

(سورة التوبة الآيتان: ٨١ – ٨٢)

* * *

obeikandl.com

«المدينة على مشارف رجب ٩ هـ، وقد تقاطرت الأنباء مع القادمين من الأنباط بأن الروم يحشدون جموعًا لهم فى «البلقاء» بالأردن لغزو حدود العرب الشمالية، وأنه قد اجتمعت لهم قبائل لخم وجذام وغسان وعامله المواليه.. النبى - عليه السلام - يجتمع بكبار صحابته فيقر رأيهم على الخروج لملاقاة جموع الروم قبل أن يداهموهم فى دارهم.. لم يجد النبى - عليه السلام - بدًا من إعلان المسلمين - على خلاف عادته - بوجهته.. فالمسافة بينهم وبين تبوك بعيدة ممعنة فى البعد، والحر فى هذه الأيام شديد بالغ الشدة، والزمن زمن عسرة، اشتد الجدب، وقلت الثمار، والناس يحبون المقام فى هذا الهجير فى الظلال.. والعدو الذى ينتظرهم هناك كبير.. فلا بد من أن يتخذ الناس للأمر أهبته، وأن يتجهزوا بما يعين على طول الطريق ووعثاء السفر وعناء الجهاد المنتظر.. أخذ عليه السلام يبعث بعوثه إلى مكة وإلى قبائل العرب يستنفرهم على الخروج معه..».

«المسجد النبوى، والنبى - عليه السلام - وسط الصحابة وقد دعا إليه رؤوس القبائل ليوفدهم إليها لاستنفارهم على القتال.. بعث بُريدة بن الحصيب إلى أسلم وأمره أن يبلغ

الفُـرْع، وبعث أبا رُهم الغفارى إلى قومه يطلبهم ببلادهـم، وخـرج أبـو واقد الليثـى إلى قومه، وأبوالجُعْدة الضَّمرى فى قومه بالساحل، وبعث أبا رافـع بن مكيث وجند بن مكيث إلى قومهما جهينة، وبعث نُعَيم بن مسـعود فى أشـجع، وبعث فى بنى كعب بن عمرو - بديل بن ورقاء وعمرو بن سـالم وبشر بن سـفيان، وبعث عُدة فى سـليم منهم العباس بن مرداس.. أوصاهم أن يحضوا أقوامهـم على الخـروج معهم، وحثهم على الصدقة، فأخذ الكثيرون يحملون الكثير من الصدقـات بيد أن الخارجـين للقاء جموع الروم كُثْر.. وليس يوجد ما يكفى من مؤنة أو ركائب.. يحز فـى نفس الرسـول والمسـلمين أن كثيرًا لا يجـدون ما يخرجون به.. حتى كثر بذلك تعلل المنافقين».

* * *

«النبى عليه السـلام أثناء التجهز للخروج إلى تبـوك، وقد جعل يتسـلل التخاذل إلى البعض، يسـتثقلون الخروج للجهاد فى هذا الحر القائظ، والجدب وقلة الثمار، فيختلقون المعاذير، وكثرت تعلات المنافقين.. يتجه عليه الصلاة والسلام إلى ربه، يتعبد إليه ويناجيه ويشكو حال ما يصادفه،

فيوافيه جبريل عليه السلام، ويوحى إليه من أمر ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة التوبة الآيات: ٣٨ - ٤١).

(يرتفع الوحى)

* * *

«النبى عليه السلام فى ترتيبه لمقاومة شدة الظروف، يأتيه آخرون كثيرون غير من تخاذلوا وتعللوا يريدون أن يخرجوا دون أن يجدوا لذلك سبيلا، فيجأرون بحاجتهم إلى الرحمة المهداة عليه الصلاة والسلام سائلين إياه أن يعينهم على ما عجزوا عنه، فيأتيه عليه السلام سبعة

مـــن بنى مقرن من مزينة، يريدون الخروج معه، ولكنهم لا يجدون نفقة ولا محملاً!».

النبى : (معتذرًا للسبعة الذين لجأوا إليه من بنى مقرن) لا أجد ما أحملكم عليه!

«الســبعة يتولون قانطــين وأعينهم تفيض من الدمــع حتى سماهــم المســلمون: «البكائين» من فـرط ما بكـوا يأسـاً من العثور على ما يخرجون به..».

* * *

«بحـــى من أحياء المدينة، ابن يامين بن عمير ابن كعب النضرى، يصادف اثنين من البكائين: أبــا ليــل عبد الرحمــن بن كعب وعبــد الله بن مغفل، فيسألهما مشفقًا..».

ابن يامين بن عمير : ما يبكيكما؟

أبوليل وعبد الله بن مغفل : جئنــا رســول الله ليحملنا فلم نجــد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه!!

«ابن يامين بن عمير يرق لهما، فيصحبهما إلى داره ويعطيهما ناضحًا له (الجمل الذى يســتقى عليــه الماء) ليرتحلا عليه، ويزودهما بشــىء من تمر، فينصرفان مســرورين حامدين شــاكرين أن أعانهما علــى الخروج مع الرحمــة المهداة فيما تمنياه».

«النبى عليه السلام خالٍ إلى نفسه، يتعبد ويناجى ربه، فيتنزل عليه الروح الأمين يسرى عنه فيمن رجوا الخروج فلم يجدوا ما يحملهم».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (سورة التوبة الآيتان: ٩١ – ٩٢)

(يرتفع الوحى)

* * *

«الصحابة وقد شعروا بأزمة جيش العسرة يتسابقون فى حمل ما يستطيعون لتزويد الجيش باحتياجاته من المؤن والعير.. النبى – عليه السلام – يلمح أبا بكر الصديق وقد جاء بماله كله: أربعة آلاف درهم..».

النبى : (يراجعه مشفقًا) هل أبقيت شيئًا؟

أبو بكر : الله ورسوله أعلم.

«يظهر عمر بن الخطاب وقد حمل معه ما استطاع.. النبى – عليه السلام – يراجعه..»

النبى : (مشفقًا) هل أبقيت شيئًا؟

عمر بن الخطاب : نعم، نصف ما جئت به..

«أحد الصحابة يسر إلى عمر أن أبا بكر قد أتى بكل ما عنده..».

عمر بن الخطاب : ما استبقنا إلى خير قط، إلا سبقنى إليه..

«النبى – عليه السلام – يلمح «الجد بن قيس» ماضيًا بين الناس، لا يظهر شيئًا، ولا يلوى على شىء.. النبى – عليه السلام – يستوقفه متسائلاً..».

النبى : (لجد بن قيس) يا جد هل لك العام فى جلاد بنى الأصفر؟

الجد بن قيس : (معتذرًا) يا رسول الله، أو تأذن لى ولا تفتنّى..

أحد الصحابة : (مرددًا فى استنكار) يفتتنك؟!

الجد بن قيس : والله لقد عرف قومى أنه ما من رجل أشد عجبا بالنساء منى، وإنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر!.. (يستأنف متحدثا بحديث المنافقين) لكن أعينك بمالى، فإنى إذا رأيت النساء لم أصبر حتى افتتن، فائذن لى..

النبى : (ممتعضًا) قد أذنت لك!!

«النبى يشيح عنه معرضا مستاءً.. يمضى – عليه السلام – فى أحياء المدينة داعيا الناس للتجهز.. يلمّ به جبريل – عليه السلام – فيوحى إليه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ۚ هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾ (سورة التوبة الآيات: ٤٩ – ٥٣)

(يرتفع الوحى)

* * *

«المدينة.. لا تزال جماعات المنافقين مع شراذم اليهود على كيدهم للإسلام ورسوله.. ويقول بعضهم لبعض: لا تنفروا فى الحر.. يرجفون برسول الله، ويثبطون الناس ويخذلونهم عنه..».

«النبى – عليه السلام – خالٍ إلى تعبده، وقد أخبره الوحى بما يتقوله المنافقون.. يتنزل عليه الروح الأمين فيوحى إليه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا

نَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ (سورة التوبة الآيتان: ٨١ – ٨٢)

(يرتفع الوحى)

* * *

«بظاهر المدينة، فى الخلاء.. وقد أرخى الليل سدوله، وسكنت الكائنات.. شبح يخرج من جوف الليل متسللاً ناشدًا هذا الخلاء.. هو علبة بن زيد، أحد البكائين الذين قصدوا الرسول وناشدوه ليعينهم على الخروج فلم يجد لهم ما يحملهم عليه.. ها هنا، تحت جنح الليل، دون أن يلحظه أو يراه أحد، علبة مستغرق فى صلاة خاشعة وقد غلبه البكاء على فقدان أمله فى الخروج مع رسول الله – عليه السلام – الرجل يتجه إلى الله ضارعا..».

علبة بن زيد : (ضارعًا) اللهم إنك أمرت بالجهاد ورغبت فيه، ثم لم تجعل عندى ما أتقوى به، ولم تجعل فى يد رسولك ما يحملنى عليه، وإنى أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابتنى فيها فى مال أو جسد أو عرض!

* * *

«المسجد النبوى فى الصباح، النبى – عليه السلام – فى صحابته وقد فرغوا من صلاة

الصبح.. النبى – عليه السلام – ينادى فى الناس..».

النبى : (مناديًا) أين المتصدق هذه الليلة؟

«لا أحد يرد..».

النبى : (معاودًا) أين المتصدق فليقم..

«علبة بن زيد، يقوم مترددًا.. النبى – عليه السلام – يسأله عما حدث منه بأمس، فيطفق يروى خروجه إلى الصحراء وضراعته إلى ربه، وما نذر التصدق به..».

النبى : (لعلبة مواسيًا ومبشرًا) أبشر، فو الذى نفسى بيده لقد كتبت فى الزكاة المتقبلة!

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة , وقد فرغ المسلمون من الصلاة.. النبى عليه الصلاة والسلام فى منصرفه يلاحظ غريبًا كان يصلى فى آخر الصفوف.. لم يسبق له عليه السلام أن رآه , فيسأله فى رفق..».

النبى : (للوافد الغريب) من أنت؟

الوافد الغريب : واثلة بن الأسقع..

النبى : (مترفقًا) وما حاجتك؟

واثلة بن الأسقع : الإسلام. خرجت من أهلى فى كنانة، أريد الإسلام.

النبى : (حانيًا) هو خير لك.

(مستأنفًا) وتهاجر؟

واثلة : نعم يا رسول الله.

النبى : هجرة البادى أو هجرة البانى.

واثلة : أيهما خير..

النبى : (موضحًا) هجرة البانى أن يثبت مع النبى , وهجرة البادى أن يرجع إلى باديته.

واثلة : بل هجرة البانى يا رسول الله.

النبى : عليك بالطاعة فى عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك..

واثلة : نعم يا رسول الله.

«النبى عليه السلام يمد يده فيتلقى يد الوافد الجديد.. واثلة بن الأسقع.. وإذ يلاحظ أنه لم يستثن لنفسه شيئًا، يقول مستدركًا له: فيما استطعت.. فيردد واثلة: فيما استطعت.. ويضرب الرسول عليه السلام على يده حانيًا داعيًا له بالخير..»

«واثلة يتجه إلى المسلمين بالمسجد، وينادى فيهم..».

واثلة : (فى المسلمين) تمنيت أن أخرج معكم إلى تبوك , وليس لى ما يحملنى، فمن يحملنى وله سهمى؟

كعب بن عجرة : (ملبيًا من وسط الصفوف) أحملك عقبة بالليل، ويدك أسوة يدى..

«تتصاعد تكبيرات ورحمات المسلمين..».

* * *

«المسجد النبوى، النبى – عليه السلام – فى صحابته وقد كشف الله تعالى له أمر نفر من

المنافقين يجتمعون تباعا ببيت «سُويلم اليهودى» يثبطون الناس عن رسول الله – عليه السلام – ويتخذون البيت مقرا للتآمر وبث سموم تخذيلهم إلى الناس.. النبى – عليه السلام – يدعو إليه صاحبه طلحة بن عبيد الله، فيأمره بالخروج فى نفر من أصحابه لتحريق هذا الوكر الذى اتخذه المنافقون مركزا للكيد لله ورسوله..».

* * *

«بظاهر بيت سويلم اليهودى، وقد استطاع الضحاك بن خليفة النجاة فيمن نجوا، يطفق منشدًا وقد كسرت ساقه وشعر بالندم على ما كان منه..».

الضحاك بن خليفة : (ينشد)

وكادت وبيت الله نارُ محمد يشيط بها الضحاكُ وابنُ أبَيرْق
وظلت وقد طبقّت كبْس سُوَيلم أنوء على رجلى كسيرًا ومرفقى
سلامٌ عليكم لا أعود لمثلها أخاف ومن تشمل به النار يُحْرَق

* * *

«المدينة، ولا يتوقف المنافقون عن الكيد والتآمر..أضمر بنو غُنْم بن عوف بناء مسجد يشتتون به المسلمين بين المساجد، ليكون مسجدا ضرارًا مقابل مسجد قباء.. اجتمع ملؤهم فى بيت أحدهم للتآمر على إقامة المسجد الذى أجمعوا إقامته للإضرار بالمسلمين».

معتَّب بن قُشَير : أرأيتم ما تهيأ لبنى عمرو بن عوف، ودعوه مسجد قباء؟

آخر : زعموا أن محمدًا قد وضع لهم أساسه وأقام قواعده، ومضوا بها بين الناس!!

ثالث : كل من بالمدينة يهتف الآن ببنى عمرو بن عوف، ويتحدث عن مسجد قباء!

رابع : لا يرضينى إلاّ أن أرى مسجدهم مقوضا..

ثعلبة بن حاطب : إن هذا الهم يسير.. الهم الذى يبعث الأحزان، هو هذا الدين الذى لا تخمد جذوته!

وديعة بن عامر : جاءنى من أبى عامر (الفاسق) يوصينى أن نتم بناء المسجد الذى أزمعنا، وأنه آت إلينا بجيش من الروم..

أحدهم : فماذا ترى؟

وديعة بن عامر : أن نسرع بإتمام بناء المسجد الذى أزمعناه فى البقعة التى اخترناها، ونقيم له من بيننا إماما، ثم ندعو محمدًا للصلاة فيه فنفرق شملهم، ثم يكون المسجد من بعد ملاذًا لأبى عامر (الفاسق) حين يعود..

الباقون : أحسنت وأصبت.. فمن يصلى بالناس ؟!

وديعة بن عامر : ها هو «مجمع بن جارية».. هو واحد منا، قارئ للقرآن، عارف بالفرائض.. نوهمه حسن قصدنا وندعوه لإمامتنا، ثم ندعو محمدًا للصلاة فيه!

الباقون : نعم الرأى!

«ينهضون!..».

* * *

«النبى – عليه السلام – وسط المسلمين يحثهم على الجهاد والتجهز للخروج إلى تبوك، يلم به المتآمرون من بنى غنم بن عوف..».

بنو غنم بن عوف : يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة، وإنا نحب أن تأتينا وتصلى لنا فيه..

النبى : (وقد كشف الله له مآربهم) إنى على جناح سفر وحال شغل، وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا لكم فيه..

«ينصرف النبى – عليه السلام – لعمله، ويعود بنو غنم قانطين محبطين!!».

* * *

«المدينة، والصحابة لا يزالون يستخرجون كل ما لديهم للتصدق وإعانة جيش العسرة على الخروج.. يتسابق فى هذه الخيرات طلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، ومحمد بن مسلمة، وعاصم بن عدى.. يبلغ النبى – عليه السلام – أن صاحبه عثمان بن عفان قد جهز ثلث الجيش، فكان أكثر المسلمين نفقة، حتى كفى الجيش مؤونتهم.. النبى عليه السلام وقد بلغ به التأثر مداه لصنيع عثمان، يرفع يديه إلى السماء ضارعًا..».

النبى : (داعيًا) اللهم ارض عن عثمان، فإنى عنه راض..
(يستأنف) ما يضر عثمان ما فعل بعد هذا!

* * *

«المدينة والمسلمون لا يزالون يجاهدون لاستكمال اعداد جيش العسرة للخروج لملاقاة الروم.. لم يعد عند الناس ما يقدمونه.. قد فعل أهل الخير والمعروف ما استطاعوا وفوق ما استطاعوا، وتكفل العباس بن عبد المطلب ومحمد ابن عمر بمن بقى من البكائين، وتسابق الفقراء أيضاً فى بذل ما يستطيعون، حتى إن الرجل ليأتى بالبعير إلى الرجل والرجلين فيقول: «هذا البعير بينكما تتعاقبانه، ويأتى الرجل بالنفقة فيعطيها بعض من يخرج، وحتى أخذت النساء يبعن كل ما يقدرن على بيعه..».

«النبى – عليه السلام – فى المسجد يأتيه أبو موسى الأشعرى فى نفر من الأشعريين ينشدون إياه أن يحملهم معه فى جيش العسرة..».

أبو موسى الأشعرى : يا رسول الله، إن أصحابنا من ورائى قد أرسلونى لتحملهم!

النبى : (معتذرًا) والله لا أحملكم على شىء، وما عندى ما أحملكم عليه..

«ينصرف أبو موسى ومن معه حزانى مكروبين يتناجون مع باقى قومهم فى الحائل الذى يمنعهم عن الخروج، وإنهم لفى تناجيهم يسمعون صوت بلال بن رباح مناديًا..».

بلال بن رباح : (مناديًا) أين عبدالله بن قيس (هو أبو موسى الأشعرى)؟

أبو موسى الأشعرى : ها أنذا يا بلال.

بلال : أجب رسول الله فإنه يدعوك..

أبو موسى : (مرددًا) يدعونى؟!

بلال : لقد جىء إلى رسول الله بكم من الإبل.. هلم إليه..

«أبو موسى الأشعرى يطير إلى مجلس النبى – عليه السلام – ما يكاد الرسول يراه حتى يدفع إليه بقرنين من الإبل».

النبى : (لأبى موسى الأشعرى) خذ هذين القرنين، وهذين القرنين، وهذين القرنين..

أبو موسى : (فرحًا) بأبى وأمى أنت يا رسول الله..

النبى : انطلق بهن إلى أصحابك فقل إن رسول الله يحملكم على هؤلاء فاركبوا!

«أبو موسى ينطلق فرحًا حتى يلحق بأصحابه.. يبتدرهم وهو يلهث!».

أبو موسى : (لقومه) إن رسول الله يحملكم على هؤلاء.. (يعود فيستدرك) ولكن والله لا أدعكم حتى ينطلق معى بعضكم إلى من سمع بقالة رسول الله حين سألته لكم ومنعه فى أول مرة، ثم إعطاؤه إياى بعد ذلك..

بعضهم : ولم يا أبا موسى؟

أبو موسى : حتى لا تظنوا أنى حدثتكم بشىء لم يقله!

القوم : والله إنك عندنا لمصدق ولنفعلن ما أحببت..

* * *

«النبى – عليه السلام – فى مجلسه، يلم به أبو موسى الأشعرى وقومه..».

النبى : (للقوم) ما أنا حملتكم، ولكن الله حملكم..

«ينصرفون مكبرين..».

* * *

«دار الجـد بن قيس الذى اعتذر لرسـول الله عن الخروج بقالة إنه محب للنسـاء، ويخشـى على نفسـه أن يفتتن بنساء بنى الأصفر.. يدخل عليـه ثائرًا ابنه عبد الله بن الجد، وكان بدريًا، وهو أخو معاذ بن جبل لأمه.. لم يعجبه ما قاله أبوه لرسول الله عليه السلام، فيبادر أباه غاضبًا يقول..».

عبد الله بن الجد : (لأبيه) لِمَ ترد على رسول الله مقالته؟

«الأب صامت لا ينطق بشيء!.».

عبد الله بن الجد : (مكررًا) لمَ ترد على رسول الله مقالته؟ (مضيفًا) فو الله مـا فـى بنى سَلمـة أكثر مالاً منك.. (يستأنف عاتبًا) ولا تخرج ولا تحمل أحدًا!!

الجد بن قيس : (معتذرًا) يا بنى، مالى وللخروج فى الريح العسـرة إلى بنى الأصفر؟!.. (يسـتأنف متعللا) والله، ما آمن خوفًا من بنى الأصفر وإنى فى منـزلى بِخُرْبَى، فأذهب إليهم فأغزوهم.. إنى والله يا بنى عالم بالدوائر!

«يشـتط غضب الابن عبـد الله.. فيغلظ لأبيه اللوم والعتاب..».

عبد الله بن الجد : لا والله، ولكنـه النفـاق!.. قـد أنزل الله فيك قرآنًا يقرأه الناس!!

الجد بن قيس : اسكتْ عنى يالكع! والله لا أنفعك بنافعة أبدًا! والله لأنت أشد علىّ من محمد!

* * *

«النبى عليه الصلاة والسلام فى خلوته، وتبتله الصامت، وتهجده وتحنثه إلى ربه، يتأمل كيف أتاه بنو مقرن من أعراب مزينة للخروج معه إلى تبوك، بينما قد تثاقل كثيرون، وتعلل آخرون، فإذا بهم يأتونه عصبة، يتوقون إلى الخروج للجهاد معه، وتفيض عيونهم من الدمع على أنهم لا يجدون نفقة ولا محملاً.. وأنه عليه السلام ليذكر ما تنزل عليه يومها من قول الله عز وجل فى رفع الحرج عنهم: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (سورة التوبة الآية: ٩٢)..»

«وإنه عليه الصلاة والسلام ليتأمل فى خروج هؤلاء عما شاع عن الأعراب، أنهم جفاة غلاظ، حتى لاندهش بعضهم يوم رآوه يقبل حفيده الحسن، وسألوه متعجبين: أتقبلون صبيانكم؟ فلما قال لهم: نعم، قالوا: لكنا والله ما نقبل! فما ملك يومها أن قال لهم – عليه السلام: «أو أملك إن كان الله قد نزع من قلوبكم الرحمة!».

«وإنه عليه الصلاة والسلام إذ تطوف به هذه الذكريات، يتأمل معها كيف أتاه هؤلاء السبعة

مــن الأعراب من بنى مقرن من مزينة، ليخرجوا معه إلى تبوك، وقد أعوزتهم النفقة وما يحملهم، فلمــا اعتذر لهم بأنه لا يجد ما يحملهم، فاضت عيونهم من الدمــع حزنًا ألاَّ يتمكنوا من الخروج معــه.. إن هؤلاء الســبعة من الأعــراب، ولكن إيمانهم عميق، وعواطفهم فى حب الله ورســوله جياشــة.. ولم يغــادروا حتــى هيــأ لهم بعض المســلمين ســبل الخروج معهم.. يستحضر عليه الصلاة والسلام ما ألقاه إليه ربه سلفًا: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ (سورة الإسراء الآية: ١٣)..»

«وإنــه عليــه الصلاة والســلام فــى مناجاته وخواطره، يتنزل عليه الروح الأمين، فيوافيه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة التوبة الآية: ٩٩).

(يرتفع الوحى)

* * *

«النبى – عليه الســلام – يزمع الخروج بمن تهيأوا للخــروج معه.. تقدم إليه بعض المعذّرين مــن الأعــراب ليــأذن لهــم فلم يعذرهم.. وتهيأ –

عليه السلام – للتحرك، بينما أقبل عبد الله بن أبى فعسكر بالمتخاذلين معه على «ثنية الوداع» فى حلفائه من اليهود والمنافقين.. استخلف – عليه السلام – على المدينة محمد بن مسلمة الأنصارى، وتحرك مغادرًا يوم خميس، وكان يستحب الخروج فيه، وتخلف عنه نفرٌ من المسلمين من غير شك ولا ارتياب: منهم كعب بن مالك، وهلال بن الربيع، ومُرارة بن الربيع.. كما تخلف لحظة الخروج ابوخَيْثَمة السالمى وأبوذر الغفارى.. وهم جميعًا نفر صدق لا يتهمون فى إسلامهم..».

«المسلمون وقد اصطفوا بظاهر المدينة للتحرك، وأمر رسول الله كل بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء أو راية، وأخذوا فى التحرك تتصاعد تكبيراتهم إلىعنان السماء..».

عبد الله بن أبى : (متمتمًا لنفسه فى غلٍّ على كثيب بثنية الوداع) يغزو محمد بنى الأصفر، مع جهد الحال والحر والبلد البعيد، إلى ما لا قبل له به! والله لكأنى أنظر إلى أصحابه غدًا مقرّنين فى الحبال!

«تتوه كلمات ابن أبى وتختفى بين تكبيرات المسلمين..».

* * *

«بأول الطريق إلى تبوك عند «الجرف»، على ابن أبى طالب حاملا سلاحه من وراء القافلة

لاهثًا ما إن يلحق بها حتى يلمحه الرحمة المهداة فيسأله متعجبًا ما أقدمه وقد خلفه على أهله بالمدينة؟!!».

على بن أبى طالب : (معتذرًا فى حياء) أرجف المنافقون بالمدينة وقالوا ما خلفه إلاّ استثقالا له وتخففًا منه!

صحابى : ألهذا الكلام جئت؟!

على : (معتذرًا) يا نبى الله، زعم المنافقون أنك إنما خلفتنى أنك استثقلتنى وتخففت منى!

النبى : كذبوا، ولكننى خلفتك لما تركت ورائى فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك..

«على بن أبى طالب يبدو مترددًا.. يستكثر أن يخرج الرسول والمسلمون ويتركوه..».

على : يا رسول الله، تخلفنى مع النساء والصبيان؟!

النبى : (مراضيًا) أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لا نبى بعدى..

«على يستعبر ويرجع راضيًا قريرًا بما أبداه له رسول الله – عليه السلام».

* * *

«المدينة بعد أيام من رحيل جيش العسرة إلى تبوك.. دار أبى خيثمة: أحد الذين تخلفوا.. يدخل أبو خيثمة لائذًا إلى بيته وقد اشتد لهيب الحر، فيلقى امرأتين له فى عريشين لهما فى حائطه، وقد رشت كل منهما عريشها، ورشت فيه ماءً، وهيأت له فيه طعامًا.. ما إن يدخل

أبو خيثمة وتستقبله نسمات الظل والماء المرشوش، حتى يقف على باب العريش كالمفلوج..».

أبو خيثمة : (وهو ينظر إلى امرأتيه) سبحان الله! رسول الله فى الضِّحِّ والريح والحر، يحمل سلاحه على عنقه.. وأبو خيثمة فى ظل بارد وطعام مهيأ، وامرأة حسنة، فى ماله مقيم؟!!!

(يستأنف مستخزيًا) ما هذا بالنَّصف!..

(يستأنف) والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله..

«المرأتان تقفان مبهوتتين وقد انعقد لساناهما!!..».

أبو خيثمة : (مستحثًا) ماذا تنتظران؟! أسرعا فأعدا لى زادًا، وأمرا لى بناضحى أرتحل عليه..

«تنصرفان لتجهيز ما أمر به.. ما إن تتما تجهيز الزاد، حتى يسرع أبو خيثمة إلى بعيره فيمتطيه ويرتحل مسرعًا للحاق برسول الله!!..».

* * *

«ببعض الطريق إلى تبوك، يلتقى أبو خيثمة بعُمَيْر بن وهب الجمحى.. قد خرج بدوره ينشد اللحاق برسول الله.. يترافقان وقد جمعتهما الغاية الواحدة..!».

«بعد فترة وقد لاحت فى الأفق قافلة جيش العسرة.. ينبرى أبوخيثمة ناشدًا من صاحبه..».

أبو خيثمة : (مناشدًا عمير بن وهب) يا عمير!..

عمير بن وهب : لبيك.

أبو خيثمة : إن لى ذنبًا.. فلا عليك أن تخلف عنى حتى آتى رسول الله قبلك.

عمير بن وهب : أفعل.

«أبو خيثمة يطير مسابقًا الريح ببعيره، حتى يبدو شبحه من بعيد للمسلمين..».

المسلمون : (للنبى) يا رسول الله هذا راكب على الطريق مقبل..

النبى : (وهو يرنو بنظره إلى بعيد متأملاً) كُنْ أبا خيثمة..

«يقترب القادم، فيلفاه المسلمون كما قال الرسول.. يتصايحون فرحين مهللين مكبرين..».

المسلمون : الله أكبر.. هو والله أبو خيثمة يا رسول الله..

«تتصاعد التكبيرات، يسارع أبو خيثمة فينيخ راحلته، ويقبل على رسول الله مسلمًا ومعتذرًا، ومن ورائه فى الأفق عمير بن وهب يغذ السير ليلحق بدوره بالرحمة المهداة..».

النبى : (لأبى خيثمة معاتبًا) أولى لك يا أبا خيثمة!

«أبو خيثمة يمضى معتذرًا، فيروى لرسول الله ما كان.. فيدعو له عليه السلام بخير، بينما يطفق أبو خيثمة ينشد مرتجلاً..».

أبوخيثمة :

لما رأيتُ الناس فى الدين نافقوا أتيت التى كانت أعَفَّ وأكرما

وبايعت باليُمنى يدى لمحمد فلم أكتسب إثمًا ولم أغْشَ مَحْرَما

تركتُ خصيبًا فى العريش وصِرْمة صفايا كـرامًا بُسْرهـا قـد تَحَمَّمَـا
وكنتُ إذا شـك المنافـقُ أسمَـحْت إلى الدين نفسى شطرَه حيث يمّمَا

«ترتفع التكبيرات، وتتغشى المسرات..».

* * *

obeikandl.com